

الفصل الأول "فى البدء كان الكلمة" (2) رواية "الواقعة"  
ثلاثية المشى على الصراط "الجزء الأول"

نشرة " الإنسان والتطور 2018/05/13  
السنة الحادية عشرة - العدد: 3907



[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

الجزء الثانى:

.....

انتبهت على صوت المرأة ذات الشعر المعقوص والبشرة بلا ألوان:

- الإيصال باسم من؟

من؟ باسمى طبعاً، كان ينبغى أن أستعد أثناء تحرك الطابور حتى لا تحدث المفاجأة، صحت فى

تعجب

- باسمى طبعاً

ارتفع حاجباها باشمئزاز ضجّر

- ليس هذا مجال العبث يا أستاذ، إلزم حدودك أو أفسح الطريق لمن بعدك.

أخذت أحاول أن أنطق باسمى حتى ينتهى هذا الموقف ولكن كل شيء كان قد انتهى فعلاً، كنت

عائداً لتوى من التحدى الذى فرضه علىّ جارى دون استئذان، نظرت إليها فى احتجاج وكأني أرد

على جارى "غريب": هل أنت أيتها الجثة الهامدة، هل أنت أيضاً؟ تسألينى عن اسمى وكأنك تشكين

فى وجودى، أليست الأوراق أمامك؟

- أستاذ...، الناس وراءها مصالح

اكتشفت أنى لم أقدم لها الأوراق، ولكنها تسألنى عن هويتى، تشك فىّ، طال صمتى وكدت أعجز

حتى عن الحركة.

- أرجوك يا سيد ماذا تنتظر؟

مرة ثانية تسمع صوتها أذننى، لكزنى الواقف ورائى متعجلاً، انتقل بصرى بينه وبينها، عيناه

تتهمانى أيضاً، أحسست بالعرق ينساب على وجهى. أكاد أبصر حبات العرق على جبهتى، كل حبة

مثل حرفه من حروفه المبعث،  
أحاول أن أجمع الحروفه  
لأكون اسمى بجمه بالخ،  
أحد أنبع ، ولكنى لا  
أذكر على وجه التحديد  
لماذا جئت إلى هذا المكان

رجعت أنظر إلى وجوه  
الناس رغم أنى لا أجد  
أعرفه أباً منهم إلا أنى  
أعرفهم واحداً واحداً، أصبح  
لكل منهم لون حقيقى يختلف  
عن لون الآخر

مثل حرف من حروف الهجاء، أحاول أن أجمع الحروف لأكوّن اسمي بجهد بالغ، أكاد أنجح ، ولكني لا أتذكر على وجه التحديد لماذا جئت إلى هذا المكان، وقبل حدوث ما لا يحمد عقباه، تركت الصف في صمت ووليت هاربا،

ماذا جرى؟

خرجت إلى الشارع، رأسي خال تماما، أخذت أنظر إلى المارة وكأني أراهم لأول مرة، هؤلاء الناس: أين كانوا قبل اليوم؟ من أين جاءوا؟ أشكالهم تبعث على التساؤل، لكل منهم عينان اثنتان، لماذا لا يستعمل أي منهم ولو عينا واحدة؟ إذا لرأوا بعضهم البعض غالبا مثلما يرى غريب قدح القهوة، الآن، أكاد أتعرف عليه، أكاد أفهمه، وعم محفوظ أيضا، أصبح فجأة مفهوما لذي، لعلني ولجت باب المجهول بلا استئذان، ماذا حدث؟ من أين تأتي تلك الرؤية الجديدة؟ رجعت أنظر إلى وجوه الناس رغم أنني لا أكاد أعرف أي منهم إلا أنني أعرفهم واحدا واحدا، أصبح لكل منهم لون حقيقي يختلف عن لون الآخر، تذكرت المرأة المعقوفة الشعر بلا لون، لو رجعت لها الآن لعرفت أن لون بشرتها مثلا هو 5734 / 9 أو أي رقم آخر، لكنه رقم محدد، لكل إنسان لون خاص به يمكن أن يوضع في فاتورة البشر، هناك درجات من اللون الأسمر ومن كل لون، خضرة الشجر ليست كخضرة الحشيش ليست كخضرة أرقام سيارات الدبلوماسيين، هذا شيء رائع: أن يكون لكل شيء لون، ولكن أين اختفت الألوان قبل ذلك؟ أين كنت أنا طوال هذه السنين؟ أحس برغبة هائلة في الجري إلى المنزل حتى أسأل الأستاذ غريب عن حقيقة ما هو فيه، وهل هناك شبه بين ما حدث لي وبين موقفه الغامض؟.

ولكن ماذا حدث لي؟ رأسي الذي كان متصلبا فارغا بدأ يمتليء بكل ثروة الحياة، جمادها وأحيائها، الوحوش وطيور الزينة فيها جنبا إلى جنب، أكاد أطيّر ولكني هنا بينهم لا بد أن أتعرّف عليهم أولا.

تقدمت إلى أحدهم لأسأله نفس السؤال الذي سألتني تلك المرأة، من أنت؟ أنت تعيش باسم من؟ الاسم يا سيد؟ الإيصال باسم من؟ قلت في نفسي إذا تعرف هو على نفسه فلا بد أنني أستطيع التعرف على نفسي، كيف؟ لست أدري. ولكني أستطيع تأكيد هذه المعادلة السهلة دون حاجة إلى برهان: لو أن واحدا في هذه اللحظة عرف من هو، فلسوف أعرف أنا - أيضا - من أنا،

تقدمت إليه، ربت على كتفه في رقة، فالتفت إلى في هدوء، قلت فورا:

- كم الساعة من فضلك؟

- آسف ليست معي ساعة

- شكرا

الحمد لله، انتهى الموقف بسلام، حصلت على الإجابة بطريقة أسهل، ليس ضروريا أن يحمل أحدهم ساعة ما دام الآخرون يحملون ساعات، ولكن هل الذي يحمل ساعة يعرف "من هو"؟ لا بد من تكلمة البحث، تقدمت إلى آخر بعد أن تأكدت من وجود الساعة في معصمه، احتك كتفي بكتفه، نظر إلى نظرة بين التساؤل والاحتجاج، نظرت إليه نظرة اعتذار، ومضيت مرتاحا وكأني حصلت على الجواب.

هذا شيء رائع: أن يكون لكل شيء لون، ولكن أين اختفت الألوان قبل ذلك؟ أين كنت أنا طوال هذه السنين؟

رأسي الذي كان متصلبا فارغا بدأ يمتليء بكل ثروة الحياة، جمادها وأحيائها، الوحوش وطيور الزينة فيها جنبا إلى جنب، أكاد أطيّر ولكني هنا بينهم لا بد أن أتعرّف عليهم أولا.

ربما كان سر الوجود، حتى تسير هذه الجموع بهذه الصورة بالغة النظام بالغة التعقيد والاضطراب - ألا يعرف أحد "من هو"؟، إذ ماذا يكون الحال لو حاول كل منا أن يعرف من هو؟ سوف تتوقف الحركة

حتى الذين يحملون ساعات، لا يعرفون من هم!!.

ربما كان سر الوجود، حتى تسير هذه الجموع بهذه الصورة بالغة النظام بالغة التعقيد والاضطراب – ألا يعرف أحد "من هو؟"، إذ ماذا يكون الحال لو حاول كل منا أن يعرف من هو؟ سوف نتوقف الحركة مثلما توقف عقلي أمام تلك المرأة منذ قليل، لا، .ليس ضروريا أن يعرف أحد شيئا، ولابد أن هذه المرأة لم تقصد شيئا جادا، سوف أرجع لها بأوراقى لأثبت لها أن سؤالها هو الجواب ذاته، سوف أجيب عليها مثلما فعلت قبل ذلك آلاف المرات، وبمجرد أن أجيب سوف، يسقط السؤال.

ما هذه الدوامة التي تدور في ذهني؟ إن ما يزعجني أنها بالنسبة لي بالغة البساطة والوضوح، .. ومع ذلك! لقد اهتديت أخيرا إلى الحل: "الناس يجيبون على أسئلة بعضهم البعض حتى يثبت أن هذه الأسئلة ليس لها إجابة، ذلك أنهم لو حاولوا أن يجيبوا على الأسئلة المطروحة في كل لحظة بجدية حقيقية لاختل توازن الكون، أو توقفت العجلة مثلما حدث هذا الصباح، أو قد يعم الشذوذ مثلما يعيش الأستاذ غريب، أو ربما جاعوا مثلما أخاف على عائلة عم محفوظ السباك.

يبدو أن ما أصابني اليوم سوف يهديني إلى فكرة جديدة أحل بها مشكلة الوجود،

"لا بد من الإجابة "فورا" على كل سؤال، حتى لا نضطر إلى البحث فعلا عن إجابة له!"

ما أسهل هذا الكلام رغم أني لا أجرؤ أن أقوله لأحد خشية أن يتوقف نهائيا عن الأسئلة والأجوبة فيموت، أو يبعث من جديد، يا حلوة أصبحت فيلسوفا بقدرة قادر، وسر موظفة الشباك!

ما هذا الكلام الفارغ؟

.....

الجزء الثالث والأخير من نفس الفصل: غداً

إرتباط كامل النص:

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD130518.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD130518.pdf)

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

شعـن: إنجازات أربعة عشرة عاما من الكـدح "

( التأسيس العام 2000 الاطلاق على الويب العام 2003 )

الكتـاب السنـوي الـرابـع

تحميل الكتاب

- التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية "

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet14Years.pdf>

- التحميل من موقع المتجر الإلكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية "

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=296&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=296&controller=product&id_lang=3)

اهتديت أخيرا إلى الحل:  
"الناس يجيبون على أسئلة بعضهم البعض حتى يثبت أن هذه الأسئلة ليس لها إجابة، ذلك أنهم لو حاولوا أن يجيبوا على الأسئلة المطروحة في كل لحظة بجدية حقيقية لاختل توازن الكون

"لا بد من الإجابة "فورا" على كل سؤال، حتى لا نضطر إلى البحث فعلا عن إجابة له!"